

اكتساب اللغة ومستويات الكلام

د. لخضر بلخير

جامعة باتنة

ملخص:

يتناول هذا المقال مبحثا من أهم مباحث الدرس اللساني، هو اكتساب اللغة ومستويات الكلام (الأداء)، انطلاقا من أن اللغة ظاهرة إنسانية اجتماعية، ومن حيث هي فعل لساني له جانبان متلازمان هما: جانب الطبع وجانب الصنع، يمثل جانب الطبع المقدرة اللغوية التي يزود بها الإنسان، ويمثل جانب الصنع الجانب العملي الأدائي (الإنجاز الفعلي للغة)، الذي يعمل على تفعيل تلك المقدرة، بالاعتماد على مصادر اكتساب اللغة، وأهم العوامل المساعدة على تنمية مستويات الأداء، والارتقاء بها إلى المرتبة التي تجعل من اللغة وسيلة تعبير و تبليغ، وسبيل كل تحصيل معرفي في حياة الفرد و المجتمع .

Abstract:

The present article discusses one of the linguistic courses; which is: Language learning and Levels of speech – practicing the language- .

Starting from the nature of language itself , as a human and social phenomena, also as a linguistic act that contain both Receiving an Delivering sides, whereas the receiving side represent the human capacity of learning any language, and the delivering side is the individual competence that activate and motivate that capacity, taking in account all factors and resources that can be helpful in increasing speech competencies to another level; a level which will allow the user of the language to express and report himself.

Thus any language can become the perfect tool of collecting knowledge for individuals and societies.

مقدمة :

اللغة هبة الله سبحانه وتعالى للإنسان، منحه إياها، واختصه بها، وميزه عن سائر المخلوقات تكريماً له، وإرشاداً إلى دوره الذي قدر له في هذه الحياة، وهو عمارة الأرض، وتكوين المجتمعات ذات المصالح المشتركة، والمنافع المتبادلة. هذه المجتمعات التي لا يمكن تصور وجودها أو بقائها واستمراريتها إلا باللغة، أية لغة، أي تلك الوسيلة التي تحقق التفاهم، وتضمن للناس ترابطهم ومودتهم، والوفاء بحاجاتهم وأغراضهم، بل إن اللغة هي الأساس في تشكيل أنماط سلوك الإنسان، وطرائق تفكيره. إنها تشكل عالمه المعرفي؛ فكفاية الإنسان للحياة، تعني القدرة على أن يتكلم، ويسمع ويقراً ويكتب، وبذلك يتحقق التواصل ويتحقق الحياة¹.

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين، وهو بصدد الحديث عن اللغة وماهيتها: "اللغة هي الإنسان، إنها مظهر حقيقته ومجلى ذاته، حين تكاد تختفي هذه الحقيقة، وتستكن هذه الذات، ولذلك نرى أن أقرب تعريف للإنسان هو 'حيوان ناطق'، وهو تعريف يرقى باللغة حتى يجعلها شطر ماهية الإنسان. وإنما كان للغة هذه المكانة، لأنها دليل على القدرة العقلية المفكرة، التي اختص الله بها الإنسان دون سائر المخلوقات الأرضية، فلما كانت اللغة ثمرة العقل، والعقل جوهر الإنسان، كان من المنطق أن نقرر أن اللغة مجلى هذا الجوهر ومظهره، فالعقل كالكهرباء يُعرف أثره، ولا تُرى حقيقته².

مشكلة الدراسة: تتناول هذه الدراسة، بالعرض والنقد و التوجيه، واحدة من أهم القضايا، التي شغلت بال العلماء والباحثين والمربين، قديماً و حديثاً، والمتمثلة في قضية " تعلم اللغة، واكتساب مهارات الممارسة والأداء"، انطلاقاً من وجهة الاهتمام بهذا الموضوع على وجه التحديد، وطبيعة الهاجس الذي يصدر عنه؛ أهو حيرة لغوية، تتصل بالإنسان وإحدى أهم خواصه التي تميزه عن سائر المخلوقات، أم هو-أيضا - حيرة وجودية حضارية؟

¹ - كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، (د ط)، (القاهرة دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د ت))، ص.28.

² - عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية، ط2، (القاهرة، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، 1986)، ص37

أهداف الدراسة:

من البديهي القول: إن طلب المعرفة هو هدف كل بحث، وغاية كل باحث. وهدف هذه الدراسة يتمثل في محاولة الإجابة عن السؤال الهاجس المتجدد حول ظاهرة اللغة، وكيفية تعلمها واكتسابها، وأهم وأنجع الطرائق التي ينبغي انتهاجها في العملية التربوية التعليمية. هذه الظاهرة (اللغة) التي تعد قيمة في ذاتها، في تجلياتها، كما هي قيمة بأدائها وممارستها، من حيث وظائفها التي تنجزها؛ فهي الرسالة الناقلة لمضمون بلاغها، وهي الترجمان في جوهرها؛ ترجمان الإنسان عن نفسه، وترجمان الإنسان عن الكون.

كما تسعى هذه الدراسة إلى الإسهام في:

1- التنبيه إلى ضرورة إبلاء العناية اللازمة لمنظومتنا التربوية؛ برسم السياسات، وتحديد الأهداف والغايات، وإعداد الكفاءات البشرية، واعتماد المناهج التربوية التعليمية الناجعة والمناسبة لمتطلبات الواقع الراهن، وفي مقدمتها مناهج تعليم اللغة العربية، وتمكين المعلمين والمتعلمين من التعامل بها ومعها. وتحقيق هذه الغاية المرجوة، أمر ممكن بل وميسور، إذا توفرت الإرادات وخلصت النيات، فنتحقق - تبعاً لذلك - أهمية اللغة في حياة الإنسان، وما بينهما من تلازم وتبادل وتأثير، كل يمنح ويمنح، ويقدر ما يكون الأخذ والعطاء من الجانبين، يكون حال كل منهما؛ من حيث التوافق والتلازم، ومن حيث القوة والضعف.

2- الدعوة إلى ضرورة العمل على إنجاح العملية التعليمية في تحسيس المتعلم بأهمية اللغة التي يعمل على اكتسابها، إذ كلما تحقق ذلك، كلما تحققت سرعة تحصيلها ونوعيته، وحيث كلما اشتدت الضرورة إلى اللغة (اللسان)، كلما اختصرت النفس مسافات الزمن في التهيؤ لقبولها.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه الدراسة، في تقديري، في طبيعة المشكلة التي تتناولها بالعرض والنقد والتوجيه، وفي الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، والمتمثلة في تعلم اللغة وتعليمها، واكتساب المهارات فيها، باعتماد المناهج العلمية، والطرائق التربوية الصحيحة الناجعة، التي نتقذنا من المشكلة (الواقع) التي نعيشها في وطننا - الجزائر - خاصة، وفي البلاد العربية عامة، أعني مشكلة الضعف اللغوي، بل الهزال أحياناً، الذي يطبع مستوى تلامذتنا وطلابنا، بل قد يصدق الوصف على نسبة غير قليلة

من أساتذتنا ومعلمينا!، وفي مختلف المراحل والتخصصات. فهل من ناصح مرشد مغيث..؟! !

منهج الدراسة: من الطبيعي أن يعتمد أي بحث أكاديمي منهجا علميا، يناسب طبيعته ويستجيب لمتطلباته، ويحقق بالتالي أهدافه المرسومة وغاياته المأمولة. ولعل المنهج الوصفي هو المنهج الأنسب لهذه الدراسة، لما يوفره لها من إمكانيات التوصيف والتفسير. واعتماد هذه الدراسة المنهج الوصفي أساسا في وصف الظاهرة اللغوية، وعرض مشكلة تعليم اللغة وتعلمها، وكيفية اكتساب المهارات فيها، عن طريق الممارسة والتطبيق، المرتبط بالمبادئ النظرية التي تحدده، فإنها - أيضا - لم تكن في غنى عن الاستئناس بالمناهج الأخرى، والاستفادة مما تقدمه من نتائج وملاحظات، في مجال الدرس اللساني الحديث.

I- اكتساب اللغة:

للغة جانبان: جانب الطبع، وجانب الصنع، وبهما يتم اكتسابها. والطبع هنا مفهوم خاص نشير به إلى ما يعرف بالمقدرة اللغوية "compétence" التي منحها الله سبحانه وتعالى عباده من الأناسي، ليميزهم بها عن سائر مخلوقاته، وليمكنهم من إعمار الأرض، التي تولوا الخلافة عليها بإذنه وأمره سبحانه؛ قال الله تعالى: { **وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة** } البقرة:30، وقال: { **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** } هود:61. هذه المقدرة هي ما يمكن أن ننعته أيضا بـ " الخليفة " حسب المصطلح العربي، و"المقدرة" أو "الخليفة" أشبه ما تكون بجهاز الحاسوب، بوصفه مجرد آلة قابلة للتشغيل والتفعيل، وهذه الآلة لا تعمل ذاتيا وإنما لا بد لها من التفعيل والتعامل معها بطرق مرسومة وكيفيات مدروسة، حتى تمدنا بما نود الحصول عليه من مواد ومعلومات؛ فالمقدرة اللغوية لا تعمل، ولا يلحقها تحريك أو تفعيل لطاقتها، إلا بالتعامل معها تعاملًا يرشحها للإنتاج والتوليد والإبداع والتجدد، وهو القادر على استخدامها وتفعيلها بما منحه الطبيعة، ومكنته من قدرات خاصة لا تتوفر لغيره.¹

وهذا التعامل في حال اللغة، مصدره المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان، والذي يستخدم بحكم اجتماعيته أصواتا وألفاظا معينة ومنسقة، في نظم معينة محددة بهدف

¹ - عبد الحكيم راضي، نظرية اللغة في النقد العربي، القاهرة، مكتبة الخانجي (د ط) 1980 ص.65.

الإيصال والتوصيل، هذه الأصوات المعينة المحددة المنسوقة، هي ما يعرف بالكلام، تنطبع الآثار السمعية لهذا الكلام في ذهن السامع (المتعلم)، ويتكرر السماع والانطباع، تتشكل برمجة لغوية على وفق المسموع من الكلام بكل خواصه ونظمه وقواعده.

وفي هذا المعنى يقول ابن خلدون، وهو يحدثنا عن تكون الملكة اللسانية عند العربي: "وهذه الملكة، كما تقدم، إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع، والتقطن لخواص تركيبه."¹

فاكتساب اللغة إذن، إنما يتم بالفعل والممارسة، ولا علاقة له بالوراثة أو الجنس، بل إن تعلم اللغات، واكتساب الملكة اللسانية، إنما يتم- في رأي ابن خلدون- من خلال توفير المادة الكلامية الحية، ووضعها في متناول المتعلم، بحيث يتفاعل معها و بها، حتى يرتسم في ذهنه المنوال الذي ينسج عليه أهل اللغة تراكيبيهم، فينسج هو على آثارها؛ فإذا أراد السامع أن يتكلم قام بالتوليد من هذه الآثار، مكونا ما يشاء من جمل وعبارات في صورة أحداث منطوقة بالفعل، لا تخرج في جملتها، وفي مجمل نظامها وخواصها عما استقر في ذهنه من آثار كلام الجماعة التي ينتمي إليها. هذه العملية -عملية السماع والتوليد على وفق هذا المسموع - تمثل الجانب الثاني لاكتساب اللغة، وهو جانب "الصنع" أو "الصناعة". وعلى الرغم من تلازم الجانبين (الطبع و الصنع) في الأسوياء من البشر، فإن الصنع بالمفهوم الذي تقدم، هو القوام الحقيقي لاكتساب اللغة، وهو العماد الفعلي لهذا الاكتساب الذي يتحقق في صورة كلام ذي أبعاد وحدود تجري على سنن المؤلف مما سمعه الإنسان واستقرت آثاره السمعية في ذهنه. وهذا ما ذهب إليه السكاكي حينما حصر هوية الكلام في أنه: "صناعة مستندة إلى تحكيمات وضعية واعتبارات إيفية."²

إن عملية اكتساب اللغة تكاد تنحصر في النطق والسماع؛ إذ بهما تتم الانطباعات الذهنية التي يمكن أن تصبح حقيقة واقفة في الكلام المتصل، ببرمجتها وتفعيلها، أو لنقل بتشغيل ما سميها (المقدرة اللغوية). إن هذا الاكتساب بكل درجاته

¹ - ابن خلدون(عبد الرحمن)، المقدمة، د ط (بيروت، دار الكتاب اللبناني،1961)، ص.1086.

² - السكاكي(أبو يعقوب يوسف)، مفتاح العلوم،(مصر، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،1937)، ص.81.

وصوره، لا يتحقق إلا بالسمع المباشر، المتكرر من الناطقين الفعليين للكلام المراد اكتسابه، واستيعاب خواصه وظواهره المميزة له، وبالنسج على منوال هذا المسموع نطقاً وأداءً فعلياً، وهو المراد ب (الإسماع) في العبارة المشهورة (اسْمَعُ وَأَسْمَعُ) التي تطلق إرشاداً للمتعلمين الراغبين في اكتساب نمط معين من اللغة وتجويده والسيطرة عليه¹.

وبتوظيف السماع والإسماع (نحو المسموع المنطوق)، تظهر جليا الصلة بين النظام والاستعمال، بل وتظهر المفارقة الفاعلة والمؤثرة، فيتم التفعيل المستمر الذي يذهب بالنبرة أو الشذوذ أو يحد منهما، ويعمل على ترسيخ أهمية الكلمة المنطوقة المسموعة، وتحقيق غاياتها التعبيرية والتبليغية والتأثيرية، فتتناغم وفقا لذلك جوانب الصحة ومستوياتها، صورة ومعنى، بل وجمالا أيضا. ولن يتحقق ذلك إلا بمراعاة ما يمكن أن يطلق عليه (نحو الكلام). وبممارسة نحو الكلام، " تبدو المشاركة الشمولية اللغوية قائمة، لأن حق النحو فيه موصول، سمعا ونطقا، في الحين الواحد، بحقوق أخرى تتأزر معه، وأعني حق الأصوات و الصرف وحق المعجم، وكذلك الدلالة." ²

ربما يصعب الأداء النطقي الفعلي أحيانا، وفق المسموع، على كثير من أبناء العربية، ولكن هذا لا يعني الفشل، أو نهاية المطاف، ولا ينبغي أن يقود إلى التراجع أو اليأس من إكمال المسيرة، بل على الراغبين في اكتساب اللغة التي يريدون، أن يحاولوا دون كلل أو ملل الاستماع إلى النماذج الصحيحة، التي من شأنها أن تقودهم إلى الدرب المأمول، والهدف المنشود، ومتابعة الشوط فيه، بإعمال أجهزتهم السمعية والنطقية، وتعويدها على الإتيان بالكلام نطقا وفق ما يسمعون قدر المستطاع، وبالمحاولة والتجربة الدائبتين الصادقتين يظفرون بمطلبهم ومرادهم إن عاجلا أو آجلا.

¹ - كمال بشر، فن الكلام، د ط (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د ت))، ص.64. ومقال الأستاذ عبد السلام المسدي، المواضعة والنقد في النظرية اللغوية عند العرب، كتاب المورد، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1986)، ص.57.

² - أحمد كشك، اللغة والكلام - أبحاث في التداخل والتقريب - د ط (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2004)، ص.13.

وإذا كان السماع أمرا غير ميسور، أو غير ممكن لسبب من الأسباب، فإنه يمكن الانصراف إلى النصوص المكتوبة، الصحيحة الفصيحة، واختيار أصلها وأنسبها لصاحب الشأن والحاجة، وأقربها منالا من استعداداته وقدراته، ثم يعكف على قراءة هذه النماذج المختارة، عن وعي وإدراك، مُسمعا نفسه أو غيره على حد سواء.

إن الاكتساب الفعلي للغة، وامتلاك ناصيتها، لا يتحقق في الواقع وبالفعل، إلا بالممارسة والمعاودة، أي بتفعيل ما أسمىناه من قبل (نحو الكلام)، لما لنحو الكلام من مساحة تداولية واقعية. ولما كانت مشكلة تعلم اللغة و تعليمها، مشكلة واقع، وجب أن نحتكم إلى ما يناسبها، بل و يوازيها، " فالواقع يحل أمره بوعيه، أي بالواقع. ومن هنا، فلا امتلاك لسليقة لغوية، إلا بإدراك أن المجرد الذهني لن يُملك متكلما ولا مستمعا سليقة لغوية¹، حتى وإن ملكه قوانين و قواعد نظرية.

صحيح أن المتدرب قد يصيب وقد يخطئ، بل يصيب مرة ويخطئ أخرى في القراءة الجهرية، ولا بأس في ذلك، لكن عليه أن يعاود المحاولة فيصح نفسه أو يستشير العارفين، حتى يخبر الأمور وينمو ذوقه وتذوقه اللغوي، ويقف في النهاية على أرض صحيحة صلبة، صالحة للاستزراع والترقي بمحصوله اللغوي، وتنميته وتعميقه إلى درجة تفي بحاجته وصنعه.

قد يكون لدى المتعلمين قدر مناسب من المعرفة بقواعد اللغة وقوانينها وضوابطها، بل ربما يحصل بعضهم على أعلى العلامات في الامتحانات المخصصة لها، ولكنهم مع ذلك لا يستطيعون قراءة بضعة أسطر أو كتابتها على الوجه الصحيح المقبول...؛ فقد تجدهم في القراءة يخطئون ويتلثمون، وفي الكتابة يخطئون ويضطربون، ويكون من الصعب بل ربما من المستحيل – أن يوظفوا هذه اللغة في الحديث المنطوق على وجه صحيح سليم، أو مقبول، ولو لبضع وقت.

ألا يرجع ذلك كله إلى غياب التعامل مع اللغة وبها تعاملات حيا، بمحاولة استخدامها منطوقة، وبأدائها أداء فعليا، كلما استطاع المتعلم، بل والمعلم أيضا، إلى ذلك سبيلا؟

ألا يكون مفيدا، بل وجميلا، أن يمرن التلاميذ والطلاب، وكل متعلم على الخطابة والمناظرة ونحوهما من كل فنون القول المنطوق المسموع، منفردين

¹ - أحمد كشك، اللغة والكلام ، ص.20.

ومجتمعين متواصلين، في صورة حوارات أو لقاءات، تشجيعاً لهم على الأداء الفعلي للكلام الصحيح الفصيح، وتثبيتها لما تلقوا من قواعد اللغة وضوابطها الصوتية والصرفية والنحوية؟، لأن اكتساب اللغة أو اكتساب الملكة اللسانية، كما يطلق عليها ابن خلدون، إنما تحصل بالممارسة والحفظ والمران، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية التي يستنبطها أهل الصناعة، لأن تلك القوانين إنما تفيد علماً بذلك اللسان، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل.¹

يمثل التمرين اللغوي التطبيق العملي لعملية تعليم اللغة، لذلك ينبغي أن تخصص الساعات الطويلة لتمرين التلاميذ على استعمال اللغة، وتقوية ملكاتهم، وتنويع أساليب تعبيرهم، كما يحدث عند غيرنا، أقصد المجتمعات التي تحترم العلم، وتقدر قيمة التربية والتعليم، وتطبق نتائج البحوث اللسانية وتوصياتها. فمن الطبيعي أن يحتل التمرين اللغوي مرتبة أساسية في مجال تعليم اللغات، هذا التعليم الذي يهدف إلى جعل التلميذ يتحسس خصوصيات اللغة، ويتلمس تعدد الأساليب وتنوعها، مما يندرج ضمن المهارات اللغوية، ولكي يتحقق ذلك على الوجه الأفضل، يجب أن تخضع هذه التمارين إلى منهجية علمية محددة، في إطار الأهداف التربوية والتعليمية العامة والخاصة.

وعليه، ينبغي أن نوجه عنايتنا، في تعليم أبنائنا اللغة، إلى ما يمثل مطلباً وغاية، أعني الكلام: أداء وممارسة، فنحن، وفي إطار المشكلة التي نعيشها الآن، وقبل الآن، أعني مشكلة الضعف اللغوي، نعاني من مشكلة غربة المنطوق والمسموع عن مسار الفصحى- الفصحى المعاصرة، لا فصحى التراث- التي يمكن، بفضل امتلاكها، سليقة وعادة، أن نستعيد ما افتقدها من خصوصية الحياة والانتماء، ونصل حاضرنا بماضيها، ونقرأ تاريخنا، ونستوعب حضارتنا.

لقد أدرك علماء العربية القدماء أهمية التمرين اللغوي، ودوره الكبير في اكتساب الملكة اللغوية، لأنهم أدركوا أن الأمر لا يتعلق بالحفظ والاستظهار، بقدر ما يتعلق بالممارسة والاستعمال، تعبيراً وتبليغاً؛ فقد نبه الجاحظ - مثلاً - (ت 255 هـ) إلى أهمية التمرين والممارسة في عملية التعلم، وعد ذلك عاملاً رئيساً في الاكتساب

¹ - ابن خلدون، المقدمة، ص 1086، عن: ميشال زكريا: الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون - دراسة ألسنية - (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1986)، ص 72.

والتحصيل، عندما قال: "وأى جارحة منعتها، ولم تمرنها على الأعمال، أصابها من التعقيد حسب ذلك المنع."¹ وكذلك فعل المبرد (ت 285هـ) فقال في هذا المعنى: "إن اللسان عضو إذا مرنته مرن، وإذا أهملته خار، كاليد التي تخشنها بالممارسة."²

إن هذا التركيز على أهمية التمرين والممارسة، في العملية التربوية التعليمية عند القدماء، هو ما تركز عليه الدراسات اللغوية الحديثة؛ فقد أولى الباحثون التمرين اللغوي (الكتابي والشفوي) أهمية بالغة، لما له من دور في اكتساب الملكة و تعليم اللغات، "فاكتساب الملكة اللغوية، وتحسين أداء المتكلم، يظهران في رأي (غاليسون GALLISSO) نتيجة لعدد من المحاولات والإعدادات و مدتها، أي: ممارسة الفعل وتكرره."³ ذلك المنهج هو ما ينبغي اتباعه والأخذ به في عملية تعلم اللغة واكتسابها، وتجويد الأداء الفعلي للكلام، إذ لا بد من السماع والإسماع. ومعالجة الأخطاء في هذه المرحلة أمر ميسور من صاحب التجربة نفسه، أو من معلم مرشد موجه.

II- مصادر اكتساب اللغة:

المعروف أن للبيت والأم، بوجه خاص، أو من يقوم مقامها، دورا بالغ الأهمية في التنقيف اللغوي، بدءا بتدريب الطفل الصغير على النطق الصحيح، وتوجيهه التوجيه المناسب، حتى يمرن بالتدرج على الاكتساب الصحيح للغة، والأداء الصوتي السليم لكلامه، وحتى تثبت في ذهنه ضوابط هذه اللغة، وتستقر صور هذا الأداء. ولكن يبدو أن هذا الدور المنوط بالمنزل والأم والأسرة، لا ينال حظه من العناية والاهتمام في كثير من البيئات والمجتمعات، ومنها العربية على وجه الخصوص؛ إذ كثيرا ما لا نجد أثرا لهذا الاهتمام، ولا نلمس انشغالا واضحا من الأسرة كافة بهذا الضرب من التنقيف والتربية اللغوية، بل ربما يحدث العكس من ذلك كله، فيقع

¹ - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ج1، 150/1).

² - المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد): الكامل في اللغة والأدب، د ط (لبنان: مؤسسة المعارف، بيروت، 1982)، 246/1.

³ - محمد صاري، الأهمية التعليمية للتمارين اللغوية - تقويم مناهج اللغة العربية - (الجزائر: وزارة التربية الوطنية، 1998)، ص.98. وانظر: عبد المجيد سالمى: (مبادئ تعليم اللغة العربية)، مجلة اللغة والأدب، (الجزائر: جامعة الجزائر، العدد:5، 1994)، ص.138.

الأطفال الصغار ضحايا تلوث لغوي ثقافي ظاهر، حيث تحشى أذهانهم بآثار لغات وثقافات ناشزات نافرات، غير مؤتلفات. والنتيجة أن يأتي هؤلاء الصغار المساكين بلغة " عربية" كسيحة غريبة كان لا أصل لها ولا نسب، بل ولا يستطيع في الوقت نفسه، أن يكتسبوا لغة أو لغات أجنبية ترشح نفسها للقبول والتعامل السليم، فتضطرب الألسنة باللكنات المختلفات، ويهتز السلوك الثقافي والاجتماعي اهتزازا يحرم أبناء هذه الأمة من السير على الدرب الصحيح الأصيل، المحددة معالمه باللغة العربية الفصيحة.

فإذا ما انتقلنا إلى المدرسة ومختلف مؤسسات التربية والتعليم، وجدنا عجا، ففي مراحل التعليم الأولى، لا تجد اللغة العربية مجالا يعدل أهميتها، أو فرصة صالحة سانحة لاكتسابها أو تنميتها بالمنهج المرغوب والطريق المنشود، ونعني به التعليم بالمحاولة، والتجربة بالأداء الفعلي الحي للكلام، أي ما سبق أن سميناه منهج (السماع والإسماع).

قد يعترض معترض فيقول: إنهم هنالك (المتعلمون) يسمعون ويستمعون، ولكننا نقول: إن ذلك يحدث، وفي غالب الأحيان - للأسف - بالسن مضطربة معوجة، منطوقها خليط غريب من الأداء اللغوي، عاميات من أنماط وألوان نافرات غير مؤتلفات، محشوة بالطرانات واللكنات، التي قد يحار المرء في تعرفها، وردها إلى أصلها، إن كان لها حظ من أصل أو نسب.

يحدث هذا في كل مكان من هذه المؤسسات، حيث لا تجد العربية الفصيحة لنفسها مسلكا أو منفذا وسط هذا الزحام من الألوان والأنماط الكلامية الناشزة، التي بعدت بنفسها وأهلها عن إتباع الطريق الصحيح السليم السوي، الواجب الالتزام به في هذه المواقع، وهو العمل على التربية والتعليم والتنقيف، وصقل المواهب، وتنمية القدرات بصورة متألفة الجوانب، متنسقة الأبعاد، واضحة المناهج، محددة الأهداف، ولا يكون ذلك ولن يكون إلا بالأداة الفاعلة المؤثرة في هذا المجال، وهي اللغة الجامعة الموحدة: اللغة العربية الأصيلة.

إن ما يحدث في قاعات الدراسة، في مدارسنا وثانوياتنا، بل وفي مدرجات الجامعات والمعاهد العليا، وهي المواقع التي يتحتم عليها الأخذ بذلك المنهج، مخالف تماما لما ينبغي أن يكون، إذ لا نكاد نجد فرقا ملحوظا بين ما يجري فيها، وما يجري خارجها من لغة هجينة غريبة وكلام مخلوط مغلوط...

إن كثيرا من المعلمين والمدرسين يقدمون دروسهم بعاميات مختلفات، موشحات أحيانا بكلام عربي يسيء ولا يُجمل، يضعف ولا يوجد، بسبب أنه كثيرا ما يأتي على أنماط وصور غير مقبولة، وأساليب لا ترقى إلى مستوى القواعد المقررة في الكلام العربي الفصيح، ونظام صوغه وتأليفه.¹

ومن الواقع المعروف، فإن بعض معلمي العربية في هذه الدور - وأحسب أن عددهم في تزايد مستمر - ينزلقون، هم أنفسهم، إلى هذه المزالق والأخطاء والأغلاط، إما لضعف في كفايتهم اللغوية، وهي حقيقة واقعة لها أسبابها ومبرراتها، وإما جريا على ما اعتادوه وألفوه في حياتهم اليومية العامة، من استخدام لعاميات، ودارجات ذات رطانات مختلفات، ليس لها محل مشروع في قاعات الدراسة عامة، وفي أوقات تقديم مواد اللغة العربية على وجه الخصوص.

ولسنا نبالغ إذا قلنا: إن شخصية الفرد المتعلم، بل والمعلم أيضا، تعاني من قلق واضطراب في السلوك اللغوي؛ فالتعامل باللغة العربية بمستوياتها المختلفة، تعامل عبي قلق مضطرب؛ لغة عربية كسيحة مغلوطة، محشو بنيانها بلبانات عجبية، غريبة، أجنبية الطبع والصنع، لا تأتلف مع البناء اللغوي العربي، ولا تتسق مع روحه الأصيلة (العربية الصحيحة الفصيحة).

وليس هذا الذي نقول يعني بحال من الأحوال: أننا نرفض الآخر، ولا نأخذ اللغات الأجنبية - الحية منها خاصة - في الحسبان، أو ننادي بإبعادها وطرحها خارج أسوار مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا، أو أننا لا ندرك ضرورتها، وأهميتها لكل متعلم أو مثقف، مهما كانت درجة هذا أو ذلك في السلم الاجتماعي². بل إن تعليم اللغات الأجنبية وتعلمها بات أمرا حتميا وضروريا في زماننا هذا على وجه الخصوص، ولكن في إطار مرسوم منضبط، وبمناهج محددة واضحة، بحيث لا تطغى هذه اللغات على اللغة القومية الأصل، وتحاول منافستها، بل محاربتها وإزاحتها عن مواقعها ومواطنها الأصلية.

إن إزاحة اللغة العربية أو إضعافها وتلويثها، كما يحدث عندنا في كثير من الحالات، بقصد أو بغير قصد، يعني هدم البنيان الحضاري والثقافي، الذي يقود حتما

¹ - كمال بشر، فن الكلام، ص.71.

² - عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، ص.9.

إلى تفويض الشخصية، وتفرق أبناء المجتمع والأمة شذر مذر، لتنافر اتجاهاتهم ونشاز أفكارهم، وأنماط سلوكهم وتصرفاتهم.

وخلاصة القول في كل ذلك (والواقع يشهد بذلك ويؤكده): إن اللغة العربية في مختلف مراحل التعليم، وقبل الجامعي منها (على وجه التحديد)، حرمت وتحرم من أهم عوامل اكتسابها وتنميتها على وجه يعدل أهميتها وتميزها، ونعني بذلك حرمانها من التعامل بها ومعها تعاملًا حيا بتوظيفها نطقًا وأداءً، حتى يتحقق لها العنصران الضروريان لاكتسابها وتنميتها وتجدها، وهما: (السماع والإسماع).

ينتقل الطالب إلى الجامعة أو المعاهد العليا المتخصصة، وهو- في الغالب- خالي الوفاض، أو يكاد، من بضاعته الأصلية في التعليم والتنقيف، وكسب وسائل العيش في مجتمع لغته الرسمية هي العربية... والمفروض، بل المحتم، أن تقوم هذه المرحلة العالية في سلم التعليم والتكوين بدورها في تعويض ذلك النقص وإكماله، أو صقل المحصول اللغوي للمتعلمين، وتنمية معارفهم وخبراتهم، إن كان لديهم محصول ومعارف. ولكن الواقع الملموس مخيب للأمل، أو هو أقرب إلى ذلك؛ إذ إن الكليات والأقسام المعنية بذلك على وجه التحديد، أعني المعنية باللغة العربية وآدابها وثقافتها، تستقبل الطالب المنتقل من المرحلة الثانوية، واضعة في الحسبان - وهما لا حقيقة - أن هذا الطالب واقف على أرض صلبة من المعرفة اللغوية، وأن لديه الزاد الكافي من هذه المعرفة، فتنحو به مناحي بعيدة عن حاجته الحقيقة، من سد نقص أو تحسين مستوى، أو تعميق لمادته القليلة، بل الهزيلة أحياناً، وقد تدخل به في مناهات الجدل والتفلسف، بتقديم الكثير من النظريات والآراء التي يشوبها، في كثير من الأحيان، الغموض والتناقض والصراع.

ويزيد الأمر خطأً وعجبا، أن تقدم قواعد العربية وضوابطها في شكل دروس ومحاضرات نظرية، خالية أو تكاد، من الحوار والمناقشة، والمباشرة الفعلية الحية للمادة اللغوية؛ أصواتا وصيغا وتراكيب وأساليب. والأغرب من ذلك والأعجب، أن بعض أساتذة اللغة العربية، في المراحل العليا، ينهجون نهج زملائهم في الفروع الأخرى، وفي التعليم العام، فيقدمون دروسهم ومحاضراتهم بالعامية أو بفصيحة محشوة بتلك العاميات ولهجاتها المختلفة، بل و"مزينة" أحيانا بألفاظ وعبارات من اللغة الأجنبية (الفرنسية على وجه الخصوص)!

III- الأداء اللغوي (مستويات الكلام):

الكلام (Speech= Parole): هو ذلك الجانب العملي في اللغة، أو ما يطلق عليه "Performance" أو ما يمثل القدرة على التكلم باللغة. كما يشير مفهوم الأداء إلى الأقوال الفعلية التي يصدرها مستخدمو اللغة، أي أن الأداء له وظيفة اجتماعية؛ إذ هو العملة التي يتداولها أفراد المجتمع في حياتهم العامة والخاصة، وهو -أيضا- المرآة الكاشفة عن هويات الأفراد، وفناتهم وبيئاتهم المختلفة. وتتبع الكلام أو الأداء اللغوي بالبحث والنظر، يتيح لنا فرصة التفسير الاجتماعي لمختلف الظواهر اللغوية، ولعل من أهم أنصار هذا الاتجاه في الدرس اللساني الحديث، رواد المدرسة الاجتماعية الإنجليزية وعلى رأسها "فيرث Firth" و"هدسون Hudson"¹.

يتم الأداء اللغوي بتشكيل الكلام ونظمه في جمل وعبارات وفقر، وفق حالات خاصة وسياقات مختلفة لغوية وغير لغوية؛ ونعني بالسياق اللغوي، سياق المقال، المتمثل في سلسلة الكلام المتصل بين طرفين: المتكلم والمتلقي، أما السياق غير اللغوي فنعني به سياق الحال، أو الطرف الاجتماعي الذي يتم فيه الكلام²، وهو ما أطلق عليه علماء العربية القدامى "المقام" في عبارتهم المشهورة: (لكل مقام مقال)³.

ومهما يكن الأمر، فإن أي بناء للكلام، لا يكون صحيحا سليما إلا بصحة لبناته وتآلفها وتكاملها، حتى يصير مؤهلا لأن يطلق عليه مصطلح "الكلام". وصحة الكلام وسلامته، لا تتم إلا باكتمال ثلاثة جوانب متصلة غير منفصلة:

أولها : صحة المبنى والمعنى:

ونعني بصحة المبنى، أن يكون البناء اللغوي صحيحا من حيث العناصر الصوتية والصرفية والنحوية

¹ - جودث جرين: علم النفس اللغوي (تشومسكي وعلم النفس)، ترجمة وتعليق: مصطفى التوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د ط) 1993، ص121. و كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي، ص51.

² - انظر: كمال بشر: فن الكلام، ص79.

³ - انظر: محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون: الأسلوبية و البيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1992، ص134.

التركيبية، وتحقق هذا يقتضي من المتكلم أو الكاتب أن يكون عارفا بقواعد هذه العناصر والنظم اللغوية معرف مناسبة، فإذا ما تحققت هذه الصحة (صحة المبنى) تحققت - بالضرورة - الصحة المعنوية (صحة المعنى)، أي جاء مضمون البناء على وجه ذي قيمة وفائدة يربوها السامع أو القارئ (المتلقي)، ويحظى باكتسابها، بل والاستمتاع بها أحيانا.

وصحة البناء اللغوي من هذين الجانبين:(المبنى والمعنى)، يمكن نعتها بالصحة العامة المطلقة، وهي مجرد صحة لغوية لهذا البناء، تحقق صلاحيته للإيصال والتوصيل بصورة من الصور. وهذه الصحة المجردة يمكن أن يطلق عليها الصحة الداخلية للبناء أو النص اللغوي، والصحة الداخلية للكلام تتم بسبيلين متصلين:

يتمثل الأول في صحة المفردات من النواحي الصوتية والصرفية والمعجمية؛ فالصحة الصوتية تقتضي الإتيان بالأصوات المفردة على وجهها الصحيح المقرر لها، من حيث مخرجها وصفاتها المميزة، والصحة الصرفية تتحقق عن طريق الإتيان بالمفردات على وجهها الصيغي الصحيح، ومن حيث صور الاشتقاق ومختلف مظاهر التصريف كالإعلال والإبدال ونحو ذلك. وتتحقق الصحة المعجمية باختيار المفردات ذات الدلالات الواضحة المناسبة، الملائمة للمعنى العام للبناء كله. وتعتمد الصحة المعجمية في الأساس- على ما يمتلكه المتكلم من ثروة لفظية، وإدراكه لمعانيها العامة والخاصة، فإن عرّ عليه شيء منها، عاد إلى مصادرها الأصلية وهي" المعجمات.

ويتمثل السبيل الثاني للصحة الداخلية للكلام، في مراعاة حسن التأليف بين وحدات التركيب، واتساق الكلام بعضه مع بعض، على وجه يتمشى مع العرف اللغوي المعتمد بين أهل الصنعة من أبناء اللغة، وهذا الأمر يختص بالنظر الدقيق الفاحص في القواعد الخاصة بالنظم والارتباط الداخلي بين كلمات الجمل ومفرداتها.

ومراعاة هذين السبيلين أو(هاتين السبيلين) في نظر علماء اللغة القدامى، تضمن صحة النص وسلامته اللغوية. وقد أشاروا إلى ذلك وعبروا عنه بما يسمى "الفصاحة"، وهم يعنون بذلك فصاحة المفردات - بوصفها مفردات- أي خلوها من العيوب اللغوية التي قد تلحقها كالغرابية والوحشية ونحو ذلك، كما يقصدون بها فصاحة الكلام، بوصفه منظوما من المفردات صحيحة، ومؤلفا تأليفا لا ضعف فيه ولا تعقيد. أي إن الفصاحة، أو المزية التي من أجلها نصف اللفظ بأنه فصيح، هي مزية تحدث من بعد ألا تكون، وتظهر في الكلم من بعد أن يدخلها النظم. أي إن الفصاحة

مزية هي بالمتكلم دون واضع اللغة. فالفصاحة إذن لا تجب للفظة المقطوعة المرفوعة عن الكلام الذي هي فيه، بل تجب لها موصولة بغيرها، معلقا معناها بمعنى ما يليها ويسبقها.¹

ثانيها (الجانب الثاني): مطابقة الكلام للمقام: فليس كل كلام صحيح صحة لغوية مطلقة صالحا لمقامه، أو موفقا لأداء رسالته في ظرفه وحاله، إذ ينقص الكلام في هذه الحالة ضرب آخر من الصحة، هي صحة الإيصال والتوصيل على وجه معين مخصوص، يقابل أغراض الكلام ويُعنى بمقاصده، هذا الضرب من الصحة هو ما يسمى " الصحة الخارجية للنص"، وهو ما ينعته علماء العربية "مطابقة الكلام لمقتضى الحال".

إن هذين الجانبين من الصحة (الداخلية والخارجية) متكاملان، بحيث لا يستغني أحدهما عن الآخر بأي حال من الأحوال، لأن غياب أحدهما غياب لواحد من الركنين الأساسيين لصحة الكلام: صحة البناء وسلامة لبنائه لغويا، وصحة الوظيفة من حيث كونه موفقا أو مرشحا للقبول اجتماعيا في بيئته، أي بعبارة أخرى (مطابقا لمقتضى الحال).

ثالثها (الجانب الثالث): وهذا الجانب من الصحة اللغوية، أو صحة الكلام، ذو شقين اثنين؛ أحدهما خاص بالكلام المنطوق المسموع، والثاني مرتبط بالكلام المكتوب المقروء. ونعني بالأول: صحة الأداء الصوتي للكلام، أو ما يدعى في عرف بعضهم بـ " الإلقاء". وهذا الشق له أهمية بالغة في تمام الصحتين الداخلية والخارجية أو تجويدهما كليهما.

إنه من المقرر – عند العلماء العارفين- أن لكل نمط من أنماط التأليف وصوره، لونا خاصا من الأداء الصوتي، يلائم بنيته ويفصح عن خواصه التركيبية؛ فللتراكيب التقريرية مثلا لون من الأداء، وللاستفهامية لون آخر، وللتعجبية لون ثالث وهكذا. وكذلك الحال بالنسبة للصحة الخارجية (مطابقة الكلام لمقتضى الحال)، فمن تمام هذه المطابقة أو تجويدها، أداء الكلام نطقا على وجه يميز كل مقام عن صاحبه، وفقا للظروف والحالات المختلفة؛ يظهر ذلك مثلا في الألوان الموسيقية أو النغمية عند

¹ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، شرح و تعليق: محمد التتحي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، ص298-299.

أداء الأحاديث العامة أو الخطب المنبرية، أو أحاديث الساسة في المناسبات الانتخابية وغيرها، كما يلاحظ ذلك بوضوح في مخاطبة الأطفال الصغار، وكذا في الأحاديث الموجهة إلى النساء...، حيث يلمس العارفون فروقا بين مختلف تلك الأحاديث، التي يناسب كل لون منها طبيعة المقام والظروف والموقف وخصوصيته.

أما الشق الثاني من الجانب الثالث لصحة الكلام، فإن المقصود به صحة الرسم وسلامته هجائيا أو إملائيا، وهذا أمر يحتاج إلى وقفة خاصة، ليست من متطلبات هذا البحث.

خاتمة:

نخلص بعد هذا العرض إلى جملة من الملاحظات، نوجزها فيما يلي :

- اللغة ظاهرة بشرية، شأنها شأن سائر الظواهر البشرية غير المادية، وعليه، فإن البحث عن اللغة و فيها، وعن علة وجودها، أو مشروعيتها استمرارها، لا يمكن أن يتحقق في غير الحدث التعبيري ؛ فالكلام - من حيث كونه الانجاز الفعلي للغة- هو الإطار الشرعي لحياة الظاهرة اللسانية.

- إن اللغة ليست فعلا غريزيا، ولا هي محصول وراثي، أو رابطة جنسية أو عرقية، بل هي نظام إبلاغي مزروع في حنايا النظام التواصل الأول، واللسان هو بمثابة خروج اللغة- من حيث هي تصور عام- من حيز القوة إلى حيز الفعل. وإذا كانت اللغة تصور عام، فإن اللسان تصنيف، والكلام نموذج ، وبهذا يمكن تصور الصلة بين المستوى التجريدي والمستوى الواقعي العملي.

- إن اكتساب الإنسان للغة بكل جوانبها وأبعادها، لا يتأتى إلا عن طريق السماع والإتيان على منوال ما يسمع. وبتكرار السماع والإسماع، ومحاولة التدريب والتجريب المستمرين تتحقق الخبرة والدربة، ويصبح الإنسان ذا سليقة لغوية، كأنها طبيعة أو ما يشبه أن يكون كذلك.

- إن تخصيص ساعات عدة لتمارين التلميذ على استعمال اللغة، نطقا وكتابة، مبدأ من مبادئ التعليم المدرسي الصحيح، فدروس تعليم اللغة تستلزم إشراك التلميذ، وإسهامه، بصورة فعلية وفعالة في هذا النشاط اللغوي، فمن خلال الممارسة يكتسب اللغة، ويلم بقضاياها المتشعبة، ويستعملها الاستعمال الصحيح والملائم لظروف التكلم والتواصل.

- إن السماع المستمر، والإتيان على منوال المسموع نطقاً أولاً وكتابة ثانياً، يحققان اكتساب أية لغة يريد الفرد منا أن يكتسبها، يتعلمها ويستوعب أبعادها بصورة أو بأخرى. ولا أدل على ذلك من التأمل في خبرتنا بالعاميات، ومدى تحكمنا في تراكيبها وأساليبها، ونحن لم نتلق أية دروس فيها، ولم نفكر - ربما- يوماً في قواعدها وضوابطها، ومع ذلك نستعملها في مختلف شؤوننا وعلى خير وجه نطقاً وأداءً، وما كان ذلك كله إلا ونحن في أحضانها، نسمعها تكررنا وتحدث بها دوماً ليل نهار. ومع هذا فإن البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الإنسان ويتفاعل مع أفرادها، هي المصدر العملي لاكتساب اللغة، أية لغة على وجه الأرض مهما كانت طبيعتها، فلماذا لا نجعل من العربية الفصحى لغة التداول والاستعمال المشترك، وتلك - لعمرى - غاية يمكن تحقيقها، بل ويسهل، لو تهيأت لها الإرادات وصدققت النيات.

والقدوة في البيئة (المعلم: في البيت وفي المدرسة وفي الجامعة...) هي راسمة الطريق، وهي مفتاح الولوج إلى عالم اللغة الفسيح العميق... وبقدر ما تكون طبيعة القدوة وخواصها، تكون طبيعة الاكتساب وخواصه. والقدوة تعني التربية بمعناها العام، ونحن في مقامنا هذا نعني بالتربية، التربية اللغوية عن طريق البيت والشارع والمدرسة والجامعة...

- ثم أخيراً: إن اللغة تنظيم مركب، ننشد - من خلال التوصل إلى إدراكه بصورة كلية، أو كافية على الأقل، تحقيق إنجاز حضاري ثقافي، على درجة كبيرة من الأهمية، في حياة الأفراد والمجتمعات. ونحن إذ نقول: إن اللغة مرآة للعقل، نعني أنها نتاج الذكاء الإنساني.

قائمة المصادر و المراجع:

- 1- أحمد كشك: اللغة والكلام أبحاث في التداخل والتقريب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ت) (د ط).
- 2- ابن خلدون (عبد الرحمن): المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت،(د ط) 1961.
- 3- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د ط)،(د ت).
- 4- جودث جرين: علم النفس اللغوي (تشو مسكي وعلم النفس)، ترجمة وتعليق: مصطفى التونسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ط) 1993.
- 5- السكاكي (أبو يعقوب يوسف): مفتاح العلوم، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1937 .
- 6- عبد الحكيم راضي: نظرية اللغة في النقد العربي، مكتبة الخانجي بالقاهرة،(د ط) 1980.
- 7- عبد السلام المسدي: المواضع والعقد في النظرية اللغوية عند العرب، سلسلة : كتاب المورد (دراسات في اللغة)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.
- 8- عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1986.
- 9- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، شرح وتعليق: محمد التتجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1999.
- 10- عبد المجيد سالمى: (مبادئ تعليم اللغة العربية)، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد:5، 1994 .
- 11- كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،(د ط)، (د ت).
- 12- كمال بشر: فن الكلام، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط) ، 2003 .
- 13- الميرد (أبو العباس محمد بن يزيد): الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان (د ط) 1982.
- 14- محمد صاري: الأهمية التعليمية للتمارين اللغوية- تقويم مناهج اللغة العربية – وزارة التربية الوطنية، الجزائر 1998.
- 15- محمد عبد المنعم خفاجي و آخران: الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، ط1، 1992.
- 16- ميشال زكريا: مباحث في النظرية الألسنية و تعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع،بيروت-لبنان، ط 2، 1985.
- 17- ميشال زكريا: الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون (دراسة ألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1986 .